الأستاذ : د/ عبد السلام صحراوي.

المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية.

السنة الثانية ليسانس .

الشعبة : دراسات أدبية . المجموعة 02.

المحاضرة رقم 03.

Johan Wolfgang von Goethe

(28 / 08 / 1749) –(22 /03 /1832)

Poète – Romancier – dramaturge – Diplomate

Scientifique - Homme d'état.

يوهان فُولفْغَانْغْ فُونْ غُوتِه

وُلِدَ " غوته " في الثامن والعشرين من شهر أوتْ سنة 1749 م بمدينة " فراكفورتْ " الألمانية . وهو من أسرة ميسورة الحال .. وقد كان أحد أشهر أدباء ألمانيا وشاعرها الكبير المتميّز. ولمْ يكنْ " غوته " مجرّد شاعر يقوم بتسجيل خواطره من خلال كتابة القصائد، بل كان شاعرًا وروائيًا ومسرحيًا. كما أنَّه تبحّر في مختلف العلوم ، فدرس الرياضيات والرسم والشعر والموسيقى ، وكان عالمًا بالنبات والطب والهندسة والحقوق والسياسة . وعكفَ في حياته على تعلّم اللغات؛ منها اللاتينية واليونانية والإيطالية والفرنسية والإنجليزية والعبرية والعربية. وسعى سعيًا حثيثًا للتعرّف على الثقافات المختلفة، وساعده على ذلك معرفته باللغات، فتعمّق في دراسة الآداب الشرقية، حيث اطلع على الأدب الصيني والفارسي والعربي، إضافةً إلى تعمّقه في الفكر الإسلامي وكلّ ما يتّصل به وبتاريخه.. ولمْ يكتف " غوته " بالاطلاع على الثقافة العربية وعلى الشعر العربي فحسب ، بل إنّه قام بالكتابة حول موضوعات شتّى متعلّقة بالدين الإسلامي والنبي محمد(ص) والقرآن الكريم . كما قام بترجمة أجزاء من المعلّقات التي اطلع عليها وحاول نقلها إلى الجمهور الألماني والأوروبي ، وذلك بعد أنْ عكف لزمن طويل على دراسة الشريعة الإسلامية دراسةً متعمّقة . وقرأ الأشعار العربية فتأثّر بعددٍ من الشعراء العرب لا سيّما شعراء المعلّقات والشاعر العبّاسي الكبير " أبو الطيب المتنبّي" عملاق الشعر العربي لكلّ العصور.. وكان إعجاب " غوته " شديدًا باللغة العربية. وممّا قاله في وصفِه لها ما يلي: " ربّما لمْ يحدثْ في أيِّ لغة هذا القدر من الانسجام بين الروح والكلمة والخط مثلما حدث في اللغة العربية، وإنّه تناسقٌ غريب في ظلِّ جسدٍ واحدٍ ".

وقد تنوّعتْ كتب " غوته " بتنوّع معارفه وثقافته وإتقانه لعلوم ولغات شتّى ؛ تنوّعتْ بين الأعمال الروائية مثل رواية " آلام الفتى فرتر " المشهورة ، ومسرحياته ومنها: " نزوة عاشق " و " المتواطئون "و " كلافيجو " و" شتيلّا " . ومن قصائده الطويلة نذكر " بوميثيوس " و" فاوستْ " وهي ملحمة شعرية تقع في جزأين (ج1 . 1808. ج2 . 1832). و " المراثي الرومانية " ..وكتب سيرته الذاتية بعنوان: " من حياتي " ، إضافة إلى كتابه " الشعر والحقيقة " ، وكتابه " الرحلة الإيطالية ". ولا ننسى في هذا المقام عمله المتميّز الذي يعدّ من أروع أعماله وهو كتاب " الديوان الشرقي للمؤلّف الغربي" . وفيه يتجلّى بوضوح تأثّر وإعجاب " غوته " بالفكر العربي والفارسي والإسلامي إلى حدود بعيدة . كما يعدّ هذا الكتاب شهادة إعجاب وتقدير ومحبّة للفكر الإسلامي والدين الإسلامي والأدبين العربي والفارسي على ح سواء.. وهي

شهادة من أحدِ أعظم شعراء ألمانيا وأوروبا والعالم. كما يحاول فيه مؤلّفه تجسيد وتثبيت قيم التسامح والتفاهم بين الحضارتين الشرقية والغربية على نحو رفيع وإنساني..

توفيَ " غوته " سنة 1832 وهو في الثانية والثمانين من عمره. وقد تمَّ تسمية أشهر معهد لنشر الثقافة الألمانية عبر العالم باسم " معهد غوته " وهو المعهد الألماني في شتّى أنحاء العالم لنشر الإشعاع الثقافي والعلمي لألمانيا، وذلك تخليدًا واعترافًا واعتزازًا بأحد رموز ألمانيا وأديبها وشاعرها الأعظم" يوهان فولفغانغ فون غوته ".

قلَّما عرفت الآداب العالمية والأدب الألماني بوجه خاص شاعرا وأديبا ارتبطت أعماله وآثاره بتجربته الشخصية المعاشة ارتباطًا وثيقا مثلما حدث بصورة بارزة في كتابات غوته وإنتاجه الأدبي..إذ يعد هذا الرجل بمثابة الشاعر التجريبي الذي يعيش تجارب حياته ويعانيها قبل أن يتسنَّى له التعبير عنها في أعماله الأدبية.. فهو يمثل بذلك " شاعر التجربة المعاشة أو شاعر الخبرة الحياتية المعاشة.. ومن الصعب جدًّا أن يكتب المرء عن "غوته" دون أخذ الترابط العضوي الشديد بين حياته و أعماله بعين الاعتبار.. على أنَّ الطابع البارز لصورة هذا الأديب العالمي، تُوجزُه صورة "الحرباء" التي توحي بالتغيّر والتحول، ولا عجب فهو القائل في إحدى قصائده، على سبيل المثال لا الحصر:"مُتْ واستحل إلى شيء جديد" (قصيدة "الحنين السعيد" في كتابه، الديوان الشرقي للمؤلف الغربي).

ولا شك أنَّ تحولات "غوته" في طابعها الحربائي لا تعني أنّه يفقد شخصيته، بل هو يحافظ على الثبات وسط التغيّر والتعدد. وليس أدلّ على ذلك كله من الأشعار والقصائد التي تضمنها ديوانه الشرقي الغربي، حيث استوحى الكثير من الآيات القرآنية وشعر المعلقات بالإضافة إلى الشعر الفارسي. إنّه يتحول مثلا إلى حاتم الطائي بينما تصبح محبوبته التي يتغنى بها امرأة تحمل اسما عربيا.(زليخا). لقد أعجب "غوته" بالدين الإسلامي وتذكر بعض المراجع بأنّه قام بتأليف مسرحية شعرية عن النبي العربي محمد (ص) وقوله مثلا: "مُتْ واستحل شيئا جديدا" يذكرنا بقول أبي بكر الصديق "احرصوا على الموتِ،توهبوا الحياة"، و"غوته" هو نفسه القائل في الديوان الشرقي ما يلي :

منْ حماقةِ الإنسان في دنياه

أن يتعصَّب كلٌّ منا لما يراه

وإذا الإسلام كان معناه أنَّ الله السلام

فإنَّنا جميعًا، نحيا و نموتُ مسلمين.

(ترجمة: عبد الرحمان صدقي)

وأكثر من ذلك فإنَّ القصيدة التي يستهل بها ديوانه تحمل عنوان "الهجرة"، وهو يريد الفرار من الشمال و الغرب متجهًا صوب الشرق باحثًا عن"عين الحياة" كيْ يستعيد حيويته و شبابه وقوة روحه من جديد. يقول " فولفغانغ غوته":

فلنهاجر إذن إلى الشرق الطاهر الصافي.

كيْ نستروِح جوّ الهداة والمرسلين...

إلى هنالك حيث الطُّهر والحقُّ والصفاء،

أودُّ أنْ أقودَ الأجناس البشرية،

حتى أنفذ بها إلى أعماق الماضي السحيق

حين كانت تتلقَّى من لَدُن الربّ

وَحْيَ السماء بلغة الأرض،

دون تحطيم الرأس بالتفكير.

(ترجمة عبد الرحمان بدوي.)

وما لبث غوته أن تحدَّث عن التقاء الشرق والغرب، لكي يهدهد نفسه سعيدا بين هذين العالمين.فهناك أبيات نظمها غوته عام 1828 ونَشرت بعد وفاته و تنسبُ إلى الديوان الشرقي. وهي تدل وتعبّر عن محاولته الرامية إلى إقامة نوع من التوازن الروحي بين الشرق والغرب وهي تعكس توجها أساسيا لدى هذا الأديب الألماني المتميز في أدبه وفي حياته الزاخرة بالخبرات والتجارب الحية، يقول "غوته" :

"من يعرف نفسه و الآخرين

يعترف هنا أيضا أن:

الشرق و الغرب

لا يمكن بعد أن يفترقا

وبودّي أنْ أُهَدهِدَ نفسي

سعيدًا بين هذين العالَمَيْن

وإذن فالتحرك بين الشرق و الغرب

هو المُلْكُ الأفضل "

(ترجمة: عبد الرحمان بدوي)

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل هذا المعنى ، وقد استوحاه "غوته " دون ريب (ولله المشرق و المغرب ، فأيْنما تولوا فثَمَّ وجه الله، إنَّ الله واسعٌ عليم" (البقرة 115).